الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨-١٣؛ ٩: ١-٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نــزيدُ وإن لم نــأكُــل لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُه وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيهلِكَ بسبَبِ علمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلَّا أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

أحد مرفع اللحم

رتَّبت الكنيسة المقدسة أن نقيم في الأحد الثالث من فترة التهيئة للصوم الأربعيني المقدس تذكار المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح الديان العادل. وقد دعي هذا اليوم أحد مرفع اللحم لأنه ابتداء من صباح الإثنين الذي يليه نرفع اللحم عن موائدنا ونأكل طيلة الأسبوع الحليب ومشتقاته والبيض والسمك، تهيئةً لدخولنا في الصوم الكبير.

بالرغم من محبة الله وتعطفه علينا فهو عادل وديّان وسيقاضي كلَّ واحد منا حسب أفعاله. لذا نقرأ في سنكسار هذا الأحد في كتاب التريودي أن الغاية من تذكيرنا باليوم الرهيب المقدس هي إيقاظنا من غفلة الكسل وإنهاض همَّتنا إلى عمل الفضيلة وحثِّنا على الشفقة ومحبة بعضنا البعض كما القريب. هذا اليوم، يوم المجيء الثاني لربنا، هو غاية حياتنا إذ فيه ستكون نهايتنا وانقضاء العالم وفيه سيأتي الرب ليدين الجميع بعدل. في مجيئه الأول، بتجسده، أقبل الرب إلينا وأعطانا وصايا الحياة. وفي يوم الدينونة سيوافي بمجدٍ رهيبٍ «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامةِ الحياة والذين عملوا السيّئات إلى قيامةِ الدينونة» (يو٥: ٢٩). الدينونة ستكون وفق أعمال المحبة كما نقرأ في إنجيل اليوم «بما أنَّكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتُموه» (مت٢٥: ٤٠).

إنّ مقياس الدينونة حسب إنجيل اليوم يكمن في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان إذ هي انعكاس لعلاقته بالله. فالطريق الوحيد الذي يقودنا إلى الله يمرُّ بأخينا الإنسان: «من لا يُحبّ أخاه يبقَ في الموت» (١يو٣: ١٤). إنَّ حياة المؤمن ليست حياةً نظريَّة بل عمليَّة: «ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت٧:٢١). يقول بولس الرسول: «لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يُبرّرون» (رو٢:١٣)، ويقول يعقوب الرسول: «لكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت» (يع٢:٢٠)، «يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق» (١يو٣: ١٨).

ذكرنا أعلاه انه منذ الإثنين الذي يلي أحد مرفع اللحم نرفع اللحم عن موائدنا، كما نرفع الحليب ومشتقاته والبيض والسمك بعد الأحد القادم، أحد

العدد ٢٠١٥/٧

الأحد ١٥ شباط

أحد مرفع اللحم

تذكار القديس أونيسيموس الرسول

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثالث

مرفع الجبن، لندخل في الصوم الأربعيني المقدّس.

إن الغاية من هذا الامتناع هي توفير المال وإعطاؤه للمحتاجين من إخوتنا محبّةً بهم «وأمَّا من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءَه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه» (١يو٣: ١٧). نحن نعبّر عن الشركة القائمة بين أعضاء جسد المسيح في عمل الرحمة مع إخوتنا؛ فإن جاع أحد إخوتنا يجب أن نجد الوسيلة لإطعامه. يقول القديس اسحق السرياني: «الإنسان الرؤوف ليس الذي يُحسن إلى أخيه بالعطاء المادّيّ فقط، بل من يحترق قلبه على أخيه إذا سمع أو رأى شيئًا يُحزنه. الرؤوف أيضًا هو الذي يتحمّل الضرب دون مقاومة، مخافة أن يُحزن قلب أخيه».

خلال هذا الأسبوع تدخلنا الكنيسة في رحلة الصوم المقدس من خلال الصلوات اليومية المعتادة أيضاً: السَحَر والغروب. ففي سَحَر أيام الإثنين والثلاثاء والخميس والسبت تضاف التسابيح مع القوانين (من كتاب التريودي الذي يُستعمل في الصوم الكبير)، أما خدمتا غروب وسَحَر يومي الأربعاء والجمعة فهي مثل صلوات الصوم الكبير، وفي نهايتها نقول صلاة التوبة للقديس افرام السرياني مع إقامة السجدات حتى الأرض «أيُّها الرب وسيّد حياتي أعتقني من روح البطالة والفضول وحب الرئاسة والكلام البطال، وأنعم عليَّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفة واتضاع الفكر والصبر والمحبة، نعم يا ملكي وإلهي هب لي أن أعرف ذنوبي وعيوبي وأن لا أدين إخوتي فإنَّك مبارك إلى الأبد، آمين». مع الإشارة إلى أنَّ الكنيسة لا تقيم القداس الإلهي يومي الأربعاء والجمعة، كما تُقرأ في هذا الأسبوع أناجيل الآلام الخلاصيَّة، لتذكّرنا الكنيسة منذ بداية الصوم بذروة الخلاص: أن نرى ربَّنا يسوع المسيح الذي تألَّم من أجلنا قائماً من بين الأموات.

وكلَّما كان صيامنا ذبيحةً مقبولة لدى الله، يرسل لنا عوضاً عنها بركاتٍ كما يقول أشعياء النبي «أليس هذا صوماً أختاره: حلَّ قيود الشر، فكَّ عُقَد النير... حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك، وتنبت صحتك سريعاً، ويسير برُّك أمامك، ومجد الرب يجمع شملك، حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول هأنذا... يُشرق في الظلمة نورك، ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر، ويقودك الرب على الدوام، ويُشبع في الأرض القاحلةِ نفسك، وينشط عظامك فتصير كجنةٍ ريَّا، وكنبعِ مياهٍ لا تنقطع مياهه...» (أش ٥٨: ٦ – ١٢).

أهّلنا الربُّ الإله أن نجوز هذا الزمن المبارك لنبلغ إلى السجود لقيامته المجيدة من بين الأموات و«أن نتمم بقية زمان حياتنا بسلام وتوبة وأن تكون أواخر حياتنا مسيحيَّة سلاميَّة بلا حزن ولا خزي وجواباً حسناً لدى منبره المرهوب»، حتى «عندما تأتي لتصنع دينونة عادلةً أيها الحاكم المُقسط، حينئذٍ تجلس على كرسي مجدك ونهر النار يجري ممتداً أمام منبرك جرياً مريعاً ومذهلاً للجميع، وقوَّات السموات ماثلةٌ بخوفٍ لديك، والبشر يحاكَمون برعدةٍ، كلٌّ منهم حسب أفعاله. حينئذٍ، أيها المسيح، إرثِ لنا، واجعلنا من حزب المخلَّصين، نحن المتوسلين إليك، بما أنّك متحنّن» (غروب أحد مرفع اللحم).

القديس لاون الأول

في الثامن عشر من شهر شباط نقيم تذكار أبينا الجليل في القديسين لاون الأول الكبير، بابا رومية. وُلد لاون سنة ٤٠٠ في

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم

تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُرياناً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلًا الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

«لأني جعت فلم تُطعموني، وعطِشتُ فلم تَسقوني، وكنتُ غريباً فلم تُؤووني، وعُرياناً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تزوروني» (متى ٢٥: ٤٢–٤٣).

كما أن المحبة وأعمالها هي اكتمال الفضائل، كذلك الكراهية وأعمالها، أي الطريق غير اللائق والرأي غير المشارك، كلّها اكتمال الخطيئة. وكما ان الفضائل تواكب المحبة للبشر، كذلك الرذائل تواكب الكراهية للبشر. إذاً بسبب هذه الأخيرة سوف يُدان الأشرار.

كنت أود أن أقول أن ليس هناك شيء يبرهن عن كراهية أكثر من تفضيل الإنسان الفضة على إخوته البشر. لكنني أرى أن الشرّ توسكانا الإيطالية لعائلة أريستُقراطية أمّنت له أفضل ما كان متوفراً آنذاك من تعليم. ومع أنه بدا، منذ نشأته، بارعاً في كل ما دَرَس، فقد كان أشدّ إنجذاباً إلى الحياة الروحية وخدمة الكنيسة. خدم شماساً ثم رئيس شمامسة مع البابا سيكستُس الثالث، وكان محلّ ثقته حتى في أدق المهام، لا سيّما وأنّه في المسائل الرعائية كان رقيقاً كأب حنون وفي مسائل الإيمان كان واسع العلم وصلباً كالصخر. سنة ٤٤٠ توفّي البابا سيكستُس فانتخب المجمع الروماني، بالإجماع، لاون خليفة له. وقد استمر يرعى المؤمنين ويعمل على ضبط النظام في كنيسة المسيح ويحفظ الإيمان القويم حتى رقاده سنة ٤٦١.

ذلك الزمان كان عصيباً للغاية على الكنيسة بسبب الهرطقات التي كانت تهاجم الإيمان القويم، بشراسة، لا سيما فيما يختصّ بالطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح. ولم يكن للغرب بعد دورٌ يُذكَر في الدفاع عن الإيمان القويم. هنا برز القدّيس لاون، لا بالعمل الدؤوب على نشر الإيمان القويم في الغرب وحسب بل بمشاركة آباء الشرق، الذين كانوا في المواجهة المباشرة مع الهراطقة، جهادهم بالدراسات اللاهوتية التي كان يراسلهم بها. إلى ذلك، وإثر انعقاد المجمع المزوَّر والمُنتَحِل صفة الكنسي، في أفسس سنة ٤٤٩، نادى القديس لاون بضرورة انعقاد مجمع كنسي مسكوني يُنهي استفحال هذه البِدَع والهرطقات مرة وإلى الأبد. فكان المجمع المسكوني الرابع، المنعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١، وفيه تُليت رسالة كان قد بعث بها لاون إلى القديس فلافيان المعترف بطريرك القسطنطينية، قبيل استشهاد هذا الأخير على يد المشاركين في مجمع أفسس اللصوصي. شكّلت الرسالة الركيزة التي بنى عليها آباء المجمع مقرراتهم العقائدية، التي وضعت حداً نهائياً لكافة التعاليم الضالة حول الطبيعتين في شخص المسيح.

في شأن ملء الطبيعتين، الإلهية والبشرية، في المسيح يقول القدّيس لاون أن من لم يستطع فهم سرّ تجسّد كلمة الله ولم يسعَ إلى أن يستنير بكل ما أتى في الكتاب المقدّس، عليه على الأقل أن يُصغي بانتباه إلى الإعلان الإيماني العام والجامع في الكنيسة (دستور الإيمان). فجماعة المؤمنين التي تُعلن إيمانها «بإله واحد آب ضابط الكل»، تُعلن في الوقت عينه إيمانها بالمسيح يسوع رباً واحداً، إبناً وحيداً لله مولوداً من الآب قبل كل الدهور ومساوياً للآب في الجوهر، وأنّ هذا الإبن الإزلي هو نفسه الذي تجسّد، في الزمن، من الروح القُدُس من مريم العذراء «وصار إنساناً»، دون أن يفقد من خصائص طبيعته الإلهية شيئاً. وفي الوقت عينه، بتكوُّنه في حشا العذراء مريم صار إنساناً بكل ما للطبيعة الإنسانية من خصائص. ويشدّد القديس لاون على أن الولادة البشرية من مريم العذراء، الحاصلة في الزمن، لم تزد على الولادة الأزلية من الآب شيئاً، ولا أنقصت منها شيئاً بل بثّتها في الطبيعة البشرية التي خدَعها الشيطان فتمرّدت على الله. هذا أيضاً ما يعنيه دستور الإيمان إذ يقول أن ابن الله تجسّد «من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا». الكلمة ابن الله المساوي للآب في الجوهر، بكامل خصائص أزليته وألوهته، إتّخذ طبيعتنا المخلوقة بكامل خصائصها وضعفاتها (ما عدا الخطيئة التي ليست من أصل الطبيعة البشرية بل طارئة عليها) ليُتحِدها إتحاداً كاملًا بطبيعته الإلهية التي لا تلوّثها خطيئة ولا يضبطها موت. لو

لم يكن المسيح المتجسّد إلهاً تاماً لما تمكّن من أن يغلب الموت، ولو لم يكن إنساناً تاماً لما انتفعت الطبيعة البشرية من قيامته شيئاً.

وكما أن تمرّد المخلوق على خالقه يفوق العقل بفداحته وفظاعة مفاعيله، وبما أن التأديب بالآيات والنُصح بالأنبياء على مدى التاريخ الإلهي قبل التجسّد ما عاد كافياً، احتاج الله من أجل خلاصنا إلى هذا التنازل الذي هو، بحدّ ذاته، يفوق العقل. هنا أيضاً تكفي العودة إلى دستور الإيمان. فعندما نُعلن أن المسيح الذي «نزل من السماء» هو أيضاً إله حق من إله حق ومساو للآب في الجوهر، يعني أنّه بولادته الزمنية من العذراء لم ينفصل عن أزليته ومجده الإلهيين كمولودٍ من الآب قبل كل الدهور. والذي هو بطبيعته غير منظور صار بطبيعتنا منظوراً، والذي لا تحويه الأكوان بطبيعته ارتضى أن يحتويه جسدٌ بطبيعتنا. الرب الواحد الذي به كان كلّ شيء أخفى مجدَه الإلهي غير المخلوق آخذاً صورة عبد مخلوق، والإله الذي لا يطاله ألم ارتضى أن يصبح إنساناً قابلاً للآلام، والذي هو بطبيعته غير مائت أخضع ذاته طوعاً لموتنا. هذا كلّه يقودنا إلى أن اتحاد الطبيعتين، الإلهية والبشرية، في المسيح يسوع هو اتحاد حقيقي للطبيعتين بملئهما، دون أن تطغى أو تُبتَلَع أو تنقص أي منهما. الله لا ينقص مهما تنازل، والإنسان لا تُلغيه الكرامة. بطبيعته الإلهية أجرى الكلمة المتجسّد العجائب والآيات وبطبيعته البشرية جاع وبكى وتألّم. فلنحترس إذاً من أن نضلّ: الكلمة الذي كان منذ البدء (يوحنا ١: ١) والذي كلّ شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يوحنا ١: ٣) هو نفسه صار جسداً وحلّ فينا (يوحنا ١: ١٤)، وهو نفسه الذي لما حان ملء الزمان أرسله الله مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس (غلاطية ٤: ٤). التكوُّن في حشا فتاة عذراء وحفظ بتوليتها هو للألوهة، أما الولادة بالجسد فهي للطبيعة البشرية. الإنسان الذي أتى الى يوحنا ليعتمد هو نفسه ابن الله الذي دلّ عليه صوت الآب (متى ٣: ١٧)، والذي جرّبه الشيطان كإنسان هو نفسه الذي خدمته الملائكة إلهاً (متى ٤: ١–١١). الذي جاع وعطش وتعب ونام هو بالطبيعة إنسان، كما أن الذي أشبع آلافاً من خمسة أرغفة وأعطى السامرية ماءً مَن يشرب منه لا يعطش من بعد، ومشى على المياه وانتهر العواصف فأسكتها هو بالطبيعة إله. بطبيعته البشرية دمّع المسيح على موت لعازر صديقه، وبطبيعته الإلهية أعاده إلى الحياة بكلمة أمره. المسيح الإنسان عُلِّق على الصليب كمجرم، وهو نفسه المسيح الإله الذي فتح للص باب الفردوس. هذا بعضٌ قليل من الأدلّة على الطبيعتين، بكامل خصائصهما، في المسيح يسوع، دون طغيان هذه أو ذوبان تلك. لأجل هذا، قال المسيح ربّنا بطبيعته الإلهية كمساوٍ للآب في الجوهر «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠). أما بطبيعته كإنسان، التي بشريّتنا مصدرها، فقال «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤: ٢٨).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

قد وجد مثالاً أعظم للكراهية: أعني وجود إناس لا يكتفون فقط بعدم الإحسان ممّا يدّخرونه بوفرة بل ويفتشون عن اغتصاب ما هو للغير. فليتصوّر إذاً، من خلال عقاب الذين لم يَرحموا، ماذا سيُصيبهم وأية دينونة قاسية سوف يلاقونها. فليضعوا حدًّا لظلمهم وينصاعوا للأمر الإلهي عن طريق أعمال التوبة والرحمة.

«حينئذٍ يُجيبونه هم أيضاً قائلين: يا ربُّ متى رأيناكَ جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدِمْكَ» (متى ٢٥: ٤٤).

أرأيتم هذا الشر الأخير، أعني التكبّر المرتبط بالتعاطي غير العطوف، كما كان التواضع مرتبطاً بالمسلك العطوف؟ يُمدح الأبرار من أجل محبتهم للبشر، فيتواضعون أكثر ولا يبرّرون أنفسهم. أمّا المتكبّرون فعندما يُدانون على عدم رأفتهم لا يتواضعون بل يتذمّرون ويبرّرون أنفسهم، لذلك سوف يسمعون الكلمات التالية: «الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه. فيذهبُ هؤلاء إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقون إلى الحياة الأبدية.

القديس غريغوريوس بالاماس